كظم الغيظ وأنساقه الثقافية في القرآن الكريم
الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) مثالاً

أ.م.د. أمجد حميد عبد الله

مستخلص البحث

تضمن البحث محاولة استكشاف الأنساق الثقافية لظاهرة (كظم الغيظ) في القرآن الكريم ، للتوصل إلى ما يقف وراء كل سلوك ثقافي على طرفي هذه الظاهرة ، ويدفع طرفيها للصراع ، وقد وجد الباحث خير مثال تطبيقي للبحث في الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، إذ يمثل طرفي هذه الظاهرة الحاكمُ المستبدُّ من جهة ، والإمامُ المظلومُ عليه السلام من جهة أخرى ، وليصيب البحث مراميه تألف من تمهيد وأربعة مباحث ، فكان عنوان التمهيد: كظم الغيظ في القرآن الكريم ، ليتضمن الكلام على : كظم الغيظ لغة ، والكظم في القرآن الكريم، والغيظ في القرآن الكريم، و أما المبحث الاول فعنوانه : أنساق الإغاظة ، باعتبار الفعل الاول المحرك للظاهرة الذي هو المؤثر الخارجي ، وهو فعل الإغاظة ، ليجري رصد أربعة أنساق.

وفي المبحث الثاني : يجري الحديث عن أنساق الغيظ التي تمثل عملية أداء السلوك الخاص بالغيظ بوصفه ثقافة متبعة لتظهر أربعة أنساق أيضا، ثم يأتي المبحث الثالث ليشمل الحديث عن أنساق كظم الغيظ ، وفيه يتم رصد رد الفعل الثقافي باتجاه معاكس لإرادة المستبد وثقافته وسلوكه، لتظهر أربعة أنساق أيضا.

ثم يأتي المبحث الرابع ليكون عنوانه: كاظم الغيظ عليه السلام ، وفيه يجري الكلام على اسمه ونسبه وصفته وألقابه، وكذلك أحوال كظم الغيظ عنده.

وأخيرا تأتي الخاتمة لتحمل اهم النتائج التي تم التوصل إليها ، ثم ثبت المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث .

والله ولي التوفيق والسداد .

دلالة كظم الغيظ اللغوية والقرآنية

اولا : الدلالة اللغوية لكظم الغيظ : ورد في معجم لسان العرب لابن منظور عن الكظم قوله: " كظم الرجل غيظه إذا اجترعه. كَظَمَه يكظِمه كَظْما: رَدَّه وحَبَسَه، فهو رجل كظيم، والغيظ مكظوم. وفي التنزيل العزيز (والكاظمين الغيظ)، فسره ثعلب فقال: يعني الحابسين الغيظ لا يجازون عليه، وقال الزجاج : معناه أعدت الجنة للذين جرى ذكرهم وللذين يكظمون الغيظ. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ما من جرعة يتجرعها الإنسان، أعظم أجرا من جرعة غيظ في الله عز وجل. ويقال: كَظَمْتُ الغيظ أَكْظِمُهُ كَظْمَا إذا أمسكت على ما في نفسك منه. وفي الحديث: من كظم غيظا فله كذا وكذا. كَظْمُ الغيظ تجرّعه واحتمال سببه والصبر عليه،...ويقال : كظم البعير على جِرّتِه إذا ردّدها في حلقه. وكظم البعير يكظم كظوما إذا أمسك عن الجرة، فهو كاظم،...والكاظم منها العطشان اليابس الجوف،...والأصل في الكظم الإمساك على غيظ وغم"[1].

أما الغيظ ، فقد ورد عنه في لسان العرب :"الغيظ: الغضب، وقيل: الغيظ غضب كامن للعاجز، وقيل هو أشد من الغضب، وقيل: هو سورته واوله،...وقوله تعالى:(سمعوا لها تغيظا وزفيرا) قال الزجاج : أراد غليان تغيّظ أي صوت غليان،...وقال تعالى:(تكاد تميّز من الغيظ) أي من شدة الحر"[2].

فالكظم إذن الحبس والإمساك، والغيظ الغضب او هو غليانه وسورته التي تكون في اوله، ويكون الغيظ غضبا كامنا للعاجز، وهو ما لا يستوجب نصحا ولا أمرا بالكظم، لأن الكظم سيكون نتيجة طبيعية متوقعة للعجز، ويكون الغيظ أيضا عن حلم وحكمة،وهو الذي يقدر صاحبه على الرد والجزاء فيمتنع، وهذا المقصود بالكظم بأمر من القرآن الكريم حلما وابتغاء لمرضاة الباري سبحانه، فقد ورد في بحار الأنوار للعلامة المجلسي من حديث اهل البيت عليهم السلام:"(والكاظمين الغيظ)الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة"[٣].

ثانياً: الكظم في القرآن الكريم: وردت من الكظم في القرآن الكريم أربعة ألفاظ هي (الكاظمين) و (كاظمين)و (كظيم) و(مكظوم)، وكما يأتي:

١.قوله تعالى:{الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} آل عمران١٣٤ . وفيها ذكر لصفات اهل الجنة التي أعدها لهم الباري سبحانه جزاء بحسن ما عملوا ، ومن ذلك كظم الغيظ حلما وتقوى .

٢.وقوله تعالى:{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} غافر١٨ .وهنا الآية في معرض كشف مشهد الناس يوم الآزفة، ولم تقترن كلمة (كاظمين) بالغيظ، للدلالة على معناها الخالص غير المخصص ولا المنسوب، أي يباس الجوف من الحر، والإمساك عن كل حركة في نفع او ضرر، على عجز بيّن عن تغيير الحال، وغمّ شديد تحسبا لما ستنتهي إليه الحال.

٣.قوله تعالى : وقوله تعالى : {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ}النحل٥٨، وقوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }الزخرف١٧.وأما في قوله تعالى: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}يوسف٨٤. فنجد أن هذا الكظم هو للحزن وليس للغيظ، فلا يدخل في موضوع البحث.

٤.{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ }القلم٤٨، وهو هنا مملوء غيظا من قومه.

ثالثاً : الغيظ في القرآن الكريم: وأما الغيظ فقد ورد هو ومشتقاته تسع مرات في القرآن الكريم ، وهي :

١.قوله تعالى : {هَاأَنتُمْ اولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }آل عمران١١٩.

٢.وقوله سبحانه:{وسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمواتُ والأرض أعِدَّتْ للمتَّقِينَ ¤ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}آل عمران١٣٣-١٣٤.

٣.وقوله عز وجل:{ قَاتِلوهُم يُعَذِّبْهُم اللهُ بأيدِيكُم ويُخْزِهِم ويَنْصُرْكُم عَلَيْهِم وَيَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ ¤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}التوبة ١٤-١٥.

٤. وقوله جل وعلا : {مَا كَانَ لِاهل الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }التوبة١٢٠.

٥. وقوله عز القائل : {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ }الحج١٥.

٦. وقوله جل شأنه : { بَلْ كَذَّبُوا بالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بالسَّاعَةِ سَعِيرا ¤ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً }الفرقان١١- ١٢.

٧. وقوله جلت قدرته : {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }الأحزاب٢٥ .

٨. وقوله عز قوله: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهم فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}الفتح٢٩.

٩. وقوله عظم شأنه : { وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ¤ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ¤ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}الملك ٦ – ٧ – ٨ .

إن أنساق الإغاظة والغيظ وكظمه قد ترد في القرآن الكريم من دون ذكر هذه الكلمات او مشتقاتها، أي أن ترد بشكل غير مباشر، ولكن الباحث أراد أن يتناول بالبحث الأنساق التي تم التعبير عنها بشكل مباشر لاعتقاده بأنها ستكون الأنساق الرئيسة، وما يرد ضمنا فهو دونها او واحد من تمثلاتها الخارجية. إن في هذه الآيات الشريفة أنساقا للغيظ وكظمه سيكشفها البحث تباعا، بناء على مبدأ أسميته (تعدد الأنساق الثقافية للأمر الواحد في القرآن الكريم) والذي أؤسس به لعدم التكرار في القرآن الكريم ، وأقصد به أن ما يعد تكرارا لفظيا للمفردات او الجمل والعبارات، هو في الحقيقة – من وجهة النظر الثقافية- تبيان لأنساق ثقافية متعددة، لأمر معين، يجري تبيانه من عديد الوجوه، ولعل ذلك يفسر ظاهرة تعدد صيغ السرد للقصص القرآني بأكثر من منظور وفي أكثر من سياق، ويفسر أيضا ظاهرة تعدد الأصوات في القص القرآني وفق منظومة الصوت المهيمن، الذي هو صوت الحق سبحانه .

المبحث الاول : أنساق الإغاظة

الإنسان هو في حقيقته عبارة عن مجموعة حاجات تمشي على الأرض، وهو لا ينفك يسعى لتلبية هذه الحاجات، التي تختلف وتتنوع بحسب ذلك الإنسان وثقافته ومعرفته وبيئته ومجتمعه، كذلك فإن سعيه متنوع ومختلف بعضه عن بعض من حيث طرائقه والجهد المبذول فيه ومقدار التضحيات المقدمة في سبيله، ويبدو أن تحقق الغيظ مرتبط بالرغبة في الإغاظة التي يلجأ إليها الإنسان في حالة الصراع كما تشير الآيات القرآنية الكريمة، ويحدث الصراع حين تغيب لغة الحوار عن أحد طرفي الصراع او كليهما، بعد الوصول إلى طريق مسدود، وهنا قد يعمد أحد الطرفين إلى فعل يبغي من ورائه الغلبة على الآخر، ليصل بنفسه إلى نشوة النصر التي لا تكتمل عادة إلا برؤية علامات الغيظ عند الخصم، فهي تكمل صورة النصر والشعور النفسي بالغلبة، فالمغلوب يمتلئ غضبا لما قد ناله من أذى، او مهانة،او نقص، فيحتاج إلى دفعه ليعيد التوازن إلى كفتي الصراع من جهة، وليحافظ على الاتزان النفسي المطلوب للاستمرار والبقاء من جهة أخرى.

وحين نأتي إلى أنساق الإغاظة التي يمكن استكشافها من الآيات الكريمة ، نجد أنها :

١. إغاظة الله للكفار : يمكن الكشف عن هذا النسق في قوله تعالى : {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً}الأحزاب٢٥.

وهنا يبدو أن الكفار قد جاؤوا ومعهم غيظهم فردّهم الله به كما جاؤوا، وقد ردهم بعلي بن أبي طالب عليه السلام كما روى القمي في تفسيره [٤]، ولعل "المراد بالذين كفروا الأحزاب على ما روى غير واحد عن مجاهد، والظاهر أنه عني المشركين واليهود الذين تحزبوا، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنه فسر ذلك بأبي سفيان وأصحابه، ولعله الاولى"[٥]، والمعنى العام لهذه الآية: "ورد الله الذين كفروا مع غمهم وحنقهم والحال أنهم لم ينالوا ما كانوا يتمنونه، وكفى الله المؤمنين القتال فلم يقاتلوا، وكان الله قويا على ما يريد عزيزا لا يغلب"[٦].

٢. إغاظة الرسول الأعظم **(محمد صلى الله عليه وآله وسلم)** والذين معه للكفار بأمر الله سبحانه : {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهم فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }الفتح٢٩.

وردت هذه الآية في آخر سورة الفتح، وهي "تصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتصف الذين معه بما وصفهم به في التوراة والإنجيل وتعد الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات وعدا جميلا"[٧]، والمعنى العام للآية: وصف الذين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم "كزرع أخرج أفراخه فأعانها فقويت وغلظت وقام على سوقه يعجب الزارعين بجودة رشده، وفيه إشارة إلى أخذ المؤمنين في الزيادة والعدة والقوة يوما فيوما، ولذلك عقبه بقوله : ليغيظ بهم الكفار"[٨].

٣. إغاظة المسلمين للكفار بأمر من الله سبحانه : {مَا كَانَ لِاهل الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ

يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }التوبة١٢٠.

تقرر هذه الآية المباركة اهمية العمل بأمر الله سبحانه، وإتباع الرسول واهل بيته عليهم الصلاة والسلام، "فكل ما يصيبكم من أدنى تعب إلى أشده مكتوب في سجل أعمالكم عند الله تعالى، وقد بلغت اهمية المسألة عنده سبحانه أنه هو كاتب الأجر فيها، وهو الضامن لصلاح هذا العمل وجزائه !، وفي مقابل هذا الأجر العظيم، فإن الإنسان يتقبل متاعب سفره وعمله"[٩]، ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار أي "يغضبهم ويضيق صدورهم، والوطء الدوس بالأقدام ونحوها كحوافر الخيل، وقد يفسر بالإيقاع والمحاربة"[١٠].

٤. إغاظة خزنة جهنم للكفار بأمر من الله تعالى :{ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ¤ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ¤ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}الملك ٦ – ٧ – ٨ . وقوله جل شأنه : { بَلْ كَذَّبُوا بالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بالسَّاعَةِ سَعِيرا ¤ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً}الفرقان١١– ١٢.

وهنا نجد أن الغيظ: أشد غضب، والتغيظ: إظهار الغيظ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع ، فالزفير: تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه، والآية تمثل حال النار للمكذبين بالساعة، فالنار تشتد إذا ظهروا لها كالأسد يزأر إذا رأى فريسته [١١]، ومثال ما ورد في هذا النسق من الإغاظة ما روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في قصة معراجه، إذ روي عنه قوله : "وتلقتني الملائكة حتى دخلت السماء الدنيا، فما لقيني ملك إلا ضاحكا مستبشرا، حتى لقيني ملك من الملائكة، لم أر خلقا أعظم منه، كريه المنظر، ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء، إلا أنه لم يضحك، ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت: من هذا يا جبرائيل، فإني قد فزعت منه؟ فقال يجوز أن تفزع منه وكلنا نفزع منه، إن هذا مالك خازن النار، لم يضحك قط ، ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظا على أعداء الله واهل معصيته، فينتقم الله به منهم"[١٢] .

المبحث الثاني: أنساق الغيظ

١. الغيظ المثاب ، وهو غيظ المتقين المحسنين، الذي يقع من ذي حلم و إحسان، ونجده في قوله تعالى: {وسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمواتُ والأرض أعِدَّتْ للمتَّقينَ ¤ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }آل عمران١٣٣-١٣٤.

"هذه الآية تمتدح الكاظمين غيظهم المرددين حدتهم في أجوافهم" [١٣]، فقد ورد في الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزا في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عز و جل :{ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } ، وأثابه الله مكان غيظه ذلك"[١٤]، ولذا نجد أن هذا النمط من الغيظ محبوب عند الاولياء عليهم السلام ، فمن ذلك ما روي عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله أنه قال : "من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعتان: جرعة غيظ تردها بحلم، وجرعة مصيبة تردها بصبر" [١٥]، وهذا الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام يروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليهم السلام أنه كان يقول: "مَا أُحِبُّ أَنَّ لي بِذُلّ نَفْسي حُمُرَ النّعم، ومَا تَجَرَّعْتُ جُرعَةً أَحَبَّ إِليَّ مِنْ جُرعةِ غَيظٍ لا أُكافي بِها

"[١٦]، وقد ورد في الأثر عن الإمام الصادق أيضاً عليه السلام قوله : "نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء، وما أحب الله قوما إلا ابتلاهم"[١٧]، وقد ورد في الأثر ما أخرجه البيهقي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام وذلك "أن جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله يقول : والكاظمين الغيظ، قال: قد كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس، قال: قد عفا الله عنك،قالت: والله يحب المحسنين، قال : اذهبي فأنت حرة"[١٨] .

٢. الغيظ المميت،ونجده في قوله تعالى:{هَاأَنتُمْ اولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} آل عمران١١٩.

في هذه الآية ذكر المنافقين إذا خلا بعضهم ببعض عظوا أطراف أصابعهم من الغضب والحنق لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله تعالى إياهم بحيث عجز أعداؤهم عن أن يجدوا سبيلا إلى التشفي واضطروا إلى مداراتهم، وعض الأنامل عادة الأسيف العاجز[١٩]، وقوله تعالى: قل موتوا بغيظكم: "دعاء عليهم في صورة الأمر، وبذلك تتصل الجملة بقوله: إن الله عليم بذات الصدور، أي: اللهم أمتهم بغيظهم إنك عليم بذات الصدور أي القلوب"[٢٠].

١. الغيظ الذاهب وشرطه القتال، وهو للمؤمنين : ونجده في قوله عز وجل:{ قَاتِلوهُم يُعَذِّبْهُم اللهُ بأيدِيكُم ويُخْزِهِم وينْصُرْكُم عَلَيْهِم وَيَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ ¤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}التوبة ١٤-١٥.

تتحدث هذه الآية الكريمة عن نمط آخر من الغيظ، وهو غيظ الكفار الذي يذهبه الله سبحانه بقتال المؤمنين لهم وانتصارهم عليهم، وما يقع على الكفار من ذلك من الخزي، وقد روي مثل ذلك عن أبي الأغر التميمي قال: "إني لواقف يوم صفين إذ نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، شاك في السلاح ، على رأسه مغفر، وبيده صفيحة يمانية، وهو على فرس له أدهم، وكأن عينيه عينا أفعى، فبينا هو يمغث فرسه ويلين من عريكته، إذ هتف به هاتف من اهل الشام يقال له عرار بن أدهم: يا عباس هلمّ إلى البراز، قال : فالنزول إذن فإنه إياس من القفول، قال : فنزل الشامي، ... ثم تكافحا بسيفيهما مليّا من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته إلى أن لحظ العباس وهيا في درع الشامي ، فأهوى إليه بالسيف فهتكه، .. فضربه العباس بالسيف فانتظم به جوانح صدره وخر الشامي صريعا لخدّه، وانشام العباس في الناس وكبّر وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض، فسمعت قائلا يقول:{ قَاتِلوهُم يُعَذِّبْهُم اللهُ بأيدِيكُم ويُخْزِهِم وينْصُرْكُم عَلَيْهِم وَيَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ ¤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ}، فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: يا أبا الأغر من المبارز لعدونا؟ قلت: هذا ابن شيخكم، هذا العباس بن ربيعة، قال: يا عباس، قال: لبيك، قال: ألم أنهك وحسنا وحسينا وعبد الله بن جعفر أن تخلوا بمركز او تباشروا حدثا؟ قال: إن ذلك لكذلك، قال: فما عدا مما بدا؟، قال : فأدعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلت فداك، قال: نعم طاعة إمامك اولى بك من إجابة عدوك، ودّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة إلا طعن في نيطه إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، أما والله ليملكنهم منا رجال ورجال يسومونهم الخسف حتى يتكففوا بأيديهم ويحفروا الآبار، إن عادوا لك فعد إليّ.

قال : فنمي الخبر إلى معاوية ، فقال : والله دم عرار، ألا رجل يطلب بدم عرار؟ قال : فانتدب له رجلان من لخم فقالا: نحن له، قال اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا وكذا، فأتياه فدعواه إلى البراز، فقال : إن لي سيدا أؤامره، قال: فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره، فقال: ناقلني سلاحك بسلاحي، فناقله، قال : وركب أمير المؤمنين عليه السلام على فرس العباس ودفع فرسه إلى العباس، وبرز إلى الشاميين فلم يشكا أنه العباس، فقالا له : أذن لك سيدك؟، فتحرّج أن يقول نعم، فقال: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }الحج٣٩، قال: فبرز إليه أحدهما فكأنما اختطفه، ثم برز إليه الثاني فألحقه بالاول، وانصرف وهو يقول: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}البقرة١٩٤، ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي، قال: ونمي الخبر إلى معاوية، فقال: قبح الله اللجاج ، إنه لقعود!، ما ركبته قط إلا خذلت، فقال عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت ، قال: اسكت أيها الشيخ فليس هذه من ساعاتك، قال: فإن لم يكن رحم الله اللخميين وما أراه يفعل ؟!، قال : ذلك والله أضيق لجحرك وأخسر لصفقتك، قال: أجل والله ولولا مصر لركبت المنجاة منها، فقال : هي والله أعمتك، ولولاها لألفيت بصيرا"[٢١] .

فإن لم يكن قتال فكما روي العياشي عن علي بن عقبة بن خالد، عن أبيه قال: "دخلت أنا والمعلى على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أبشروا ، إنكم على أحدى الحسنيين: شفى الله صدوركم ، وأذهب غيظ قلوبكم، وأدالكم على عدوكم، وهو قول الله تعالى: وَيَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ ، وإن مضيتم قبل أن تروا ذلك مضيتم على دين الله الذي ارتضاه لنبيه ولعلي " [٢٢]على محمد وعلي وآلهما الصلاة والسلام.

٤. غيظ الخيبة والحسرة، ونجده في قوله عز القائل : {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ }الحج١٥.

وقد ورد في صفة هذا الغيظ عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "إن ربي وعدني نصرته، وأن يمدني بملائكته، وأنه ناصري بهم وبعلي أخي خاصة من بين اهلي، فاشتد ذلك على القوم أن خصّ عليا بالنصرة، وأغاظهم ذلك، فأنزل الله عز وجل: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ }، قال: ليضع حبلا في عنقه إلى سماء بيته يمده حتى يختنق فيموت فينظر هل يذهبن كيدُه غيظَه؟ "[٢٣]، وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام حديث طويل في الإمامة وهو في غاية الاهمية، وقد جاء فيه في صفات الإمام أنه "غيظ المنافقين"[٢٤]، وهذا الغيظ متصل بكل ما يباعد عن الله سبحانه، ويقع في ضمن معصيته، ونجد لهذا الغيظ مثلا في الحديث الشريف، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول له: "من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن رمى ببصره إلى ما في يدي غيره كثر همه، ولم يشف غيظه، ..."[٢٥]، وفي هذا الحديث من الموعظة الحسنة الكثير مما لا يخفى على المتلقي اللبيب.

المبحث الثالث : أنساق كظم الغيظ

١. كظم المتقين المحسنين : وهو الكظم الفاعل ، ويأتي عن حلم وتقوى ، وهو من عمل المتقين المحسنين،او يأتي عن تقيّةٍ وتحرّز، وهو من عمل اهل الحزم، ونجده في قوله سبحانه : {وسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّة

عَرضُهَا السَّمواتُ والأرض أعِدَّتْ للمتَّقينَ ¤ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }آل عمران١٣٣-١٣٤.

وقد ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام في النمط الاول من كظم المحسنين قوله : "من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، أملا الله قلبه يوم القيامة رضاه"[٢٦] ، وجاء عن إمامنا الباقر عليه السلام في هذا المعنى قوله : "من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمنا وإيمانا يوم القيامة"[٢٧] ، ومن ذلك الخبر الذي جاء إذ "جعلت جارية لعلي بن الحسين عليهما السلام تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة ، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه، فرفع علي بن الحسين عليهما السلام رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول : (والكاظمين الغيظ)، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: (والعافين عن الناس)، قال : قد عفا الله عنك. قالت: (والله يحب المحسنين)، قال : اذهبي فأنت حرة "[٢٨] ، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من خطبة له في وصف المتقين وهي التي صعق لها همام فمات بعد سماعها، أن المتقي تراه "مكظوما غيظه"[٢٩] .

وورد عن إمامنا الصادق أيضا في النمط الثاني من كظم المحسنين قوله: "كظم الغيظ من العدو في دولاتهم تقيةً حزمٌ لمن أخذ به ، وتحرز من التعرض للبلاء في الدنيا، ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظتهم في غير تقية ترك أمر الله، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم، ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلوا"[٣٠] ، فالحزم ضبط الأمر وإتقانه والحذر من فواته، وذلك برعاية شرائط نظامه، ورفع موانع دوامه، ومن جملة ذلك كظم الغيظ عن العدو وعدم إرادة الانتقام منه في حال ظهور دولته، لأن ذلك يوجب التعرض للبلاء وإيقاع النفس في الهلكة، كما أن منازعته وترك التقية في حقيقته ترك لأمر الله، وبذلك يكون كظم الغيظ وإظهار الوداد والبشاشة من نحو المجاملة، يسبب علو المنزلة والرفعة والشرف عند العدو الظاهر بدولته، لأن محاولة إجراء أحكام الغيظ مع خوف الوقوع في الضرر توجب الإذلال والأذى[٣١]، وورد عنه أيضا عليه السلام قوله: "ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه إما بصبر وإما بحلم"[٣٢]، فبالحلم يردها حين يقدر على إمضائها وإن فعل فلا ضرر عليه، وبالصبر يردها حين يقدر على إمضائها وإن فعل أصابه الضرر.

ولهذا النسق من كظم الغيظ فوائد جليلة، وهي عديدة غير محصورة، منها: أنه يوجب زيادة الأنصار والأعوان، والذكر الجميل بين الإخوان، والصيت الحسن [٣٣]، هذا فضلا عما أعده الله سبحانه لكاظم الغيظ من أجر، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: "من يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله"[٣٤]، وعن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال : "ثلاث من كن فيه زوجه الله من الحور العين كيف شاء : كظم الغيظ، والصبر على السيوف لله ، ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله"[٣٥].

وإن ممن اشتهر بلقب (كاظم الغيظ) هو الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، وقد ورد في الأثر عن ربيع بن عبد الرحمن أنه قال: "كان والله موسى بن جعفر عليه السلام من المتوسمين يعلم من يقف عليه ويجحد الإمام بعد إمامته، وكان يكظم غيظه عليهم، ولا يبدي لهم ما يعرفه لهم فسمي الكاظم لذلك"[٣٦]، وكيف لا يكون الكاظم عليه السلام كاظما وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : "ومن كظم غيظه وعفى عن أخيه المسلم أعطاه الله أجر شهيد"[٣٧]، وروي عنه أيضا : "ليس القوي من يضرع الفرسان ، إنما القوي من يغلب غيظه ويكظمه"[٣٨]، وروي عنه أيضا: "ثلاثة يرزقون مرافقة الأنبياء : رجل يدفع إليه قاتل وليه ليقتله فعفا

عنه، ورجل عنده أمانة لو يشاء لخانها فيردها إلى من ائتمنه عليها، ورجل كظم غيظه عن أخيه ابتغاء وجه الله"[٣٩]، وعنه صلى الله عليه وآله أيضا أنه قال: "في ليلة المعراج رأيت غرفا في أعلى الجنة، فقلت لمن هي ؟، قال للكاظمين الغيظ وللعافين عن الناس وللمحسنين"[٤٠]، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "أعقل الناس أشدهم مداراة للناس، وأحزم الناس أكظمهم غيظا"[٤١].

٢. كظم المسيئين: وهو الكظم المنفعل عن عجز وغم ، ونجده في قوله سبحانه: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }النحل٥٨. وفي قوله تعالى شأنه : {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }الزخرف١٧.

والمعنى العام : وصف لحال المشركين أنهم "إذا بشر أحدهم بالأنثى التي جعلها شبها مجانسا للرحمن صار وجهه مسودا من الغم وهو مملوء كربا وغيظا لعدم رضاهم بذلك وعده عارا لهم لكنهم يرضونه له"[٤٢]، فكظمهم الغيظ وهم مسيؤون لا علاج له، بل هو كاشف لفساد رأيهم بنسبة الإناث إلى الله في حين يكرهونها لأنفسهم، وكاشف لسوء أخلاقهم إذ يئدون بناتهم وقد أمروا لهن بالرعاية والرحمة.

٣.كظم الظالمين : وهو الكظم المنفعل عن خوف من الجزاء وغم، ونجده في قوله تعالى:{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }غافر١٨.

٤.كظم العاجلين، وهو الكظم المنفعل عن قلة الصبر على العاصين، ونجده في قوله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه يونس على نبينا وآله وعليه السلام: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ }القلم٤٨ .

ويمكن أن نتلمس من التعبير القرآني للآية (مكظوم) بصيغة اسم المفعول، أن عملية كظم الغيظ حصلت للنبي يونس عليه السلام بفعل الله الذي كظمه هو وغيظه في بطن الحوت، فكان نداؤه بالدعاء لربه في حال أنه مكظوم ، وهذا الظاهر من قوله تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }الأنبياء٨٧، فنداء يونس عليه السلام وهو مكظوم أي أنه دعا ربه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف في الامور، وقيل : مكظوم أي مختنق بالغم إذ لم يجد لغيظه شفاء ، لولا أن أدركته رحمة من ربه بإجابة ندائه وتخليصه من بطن الحوت[٤٣]، وقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : " ما ردّ الله العذاب إلا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبون ذلك، فهمَّ أن يدعو عليهم وكان فيهم رجلان: عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا، والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول: لا تدعُ عليهم فإن الله يستجيب لك، ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم فدعا عليهم، فاوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيها، فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب، فقال العالم لهم : يا قوم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فقالوا كيف نصنع؟، قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين الغنم واولادها، ثم ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرق العذاب على الجبال وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس ينظر كيف اهلكهم الله ، فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم، قال لهم : ما فعل قوم يونس؟، فقالوا له – ولم يعرفوه: إن يونس دعا عليهم

فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم فاجتمعوا وبكوا فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال، فهم إذا يطلبون يونس ليؤمنوا به، فغضب يونس ومر على وجهه مغاضبا لله كما حكى الله حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها، فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه، فلما توسطوا البحر بعث الله حوتا عظيما فحبس عليهم السفينة من قدامها، فنظر إليه يونس ففزع منه وصار إلى مؤخر السفينة، فدار إليه الحوت وفتح فاه ، فخرج اهل السفينة فقالوا: فينا عاص، فتساهموا فخرج سهم يونس، وهو قول الله عز وجل : {فَسَاهم فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ }الصافات١٤١، فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء" [٤٤] ، ثم بعد أن من الله عليه وأخرجه من الحوت أعاده إلى قومه ليتولى رعايتهم بعد أن آمنوا وكشف الله سبحانه عنهم العذاب.

المبحث الرابع : كاظم الغيظ عليه السلام

اولا/ نسبه ومولده وصفته ولقبه :

(كاظم الغيظ) هو لقب لقب به الإمام موسى عليه السلام ونسبه اوضح من أن يشار إليه ، وآباؤه خير الآباء فهو ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وهو سابع الأئمة الإثني عشر المعصومين الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله أئمة اوصياء وخلفاء من بعده [٤٥].

وأُمُّه المكرمة : "حميدة البربرية الأندلسية، وهي ابنة صاعد البربري، وكانت تكنى لؤلؤة، وهي أم ولدمن بربر من بلاد الأندلس، وهي أم اسحق وفاطمة، ... وكانت تسمى أيضا : حميدة المصفاة"[٤٦]، وقد روي في ذلك عن المعلى بن خنيس : أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال : "حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتى أدّيت إليّ كرامة من الله لي ، والحجة من بعدي"[٤٧]، حتى أنها لما جيء بها إلى الإمام الصادق عليه السلام "سألها عن اسمها فقالت : حميدة، فقال لها : حميدة في الدنيا ومحمودة في الآخرة"[٤٨]

الإمام الكاظم عليه السلام أقام مع أبيه عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ، وبعد أبيه خمسا وثلاثين سنة وهي مدة خلافته وإمامته، وكان من صفته أنه أسمر يميل إلى البياض لشدة نوره، وقد ذكر ابن شهراشوب في المناقب أنه كان (أزهر) وهو المشرق المتلألئ الأبيض[٤٩]، وكانت ولادته في المدينة المنورة في منطقة الأبواء، وهي منزل بين مكة والمدينة، يوم الأحد في السابع من شهر صفر، سنة ثمان وعشرين ومئة على ما هو مشهور، وقيل إنه ولد في شهر ذي الحجة[٥٠].

ويروى أن سبب تسميته بالكاظم عليه السلام هو وصف مجمل لما كانت عليه حياته الشريفة من تحمل الأذى وكظم الغيظ والصبر عليه، فقد ورد عن ربيع بن عبد الرحمن أنه قال : "كان والله موسى بن جعفر من المتوسمين ، يعلم من يقف عليه بعد موته ويجحد الإمامة بعد إمامته، وكان يكظم غيظه عليهم ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم، فسمي الكاظم لذلك"[٥١]، وهؤلاء الذين يعلم أنهم وقفوا عليه ولم يعتقدوا بإمامة من بعده هم الذي سموا بالواقفة او الواقفية، وهم قوم وقفوا عند أحد الأئمة ولم يعتقدوا بإمامة من بعده إذ فتنوا واشتبهوا، والملاحظ أن العقيدة الواقفية قد تكرر ظهورها بعد وفاة عدد من الأئمة ، وهذا يوضح حجم التعتيم الإعلامي للحكام الظلمة وأجهزتهم الدعائية وحجم التضليل الذي مارسوه لحرف الناس عن الأئمة الإثني عشر عليهم الصلاة والسلام، كما روي عن الشيخ

المفيد أنه قال: "سمي الكاظم لما كظم من الغيظ وصبر عليه من فعل الظالمين به، حتى مضى قتيلا في حبسهم ووثاقهم"[٥٢].

ولكن ما يرجحه الباحث أن سبب التسمية متعلق بالنص عليه بهذا اللقب قبل ذلك بكثير، وأعني ما ورد في الحديث المشهور بحديث اللوح ، المروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وهو اللوح الذي أنزله الله عز وجل على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاه السيدة الزهراء عليها السلام وقال لها احفظيه، وفيه أسماء الأئمة الاوصياء الخلفاء عليهم السلام وألقابهم، وفيه (موسى الكاظم الغيظ)[٥٣]، وهناك حديث نبوي شريف يتضمن التعريف بالإمام السابع موسى عليه السلام وبلقبه : فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في ضمن حديث له يعرف به سلمان المحمدي النقباء الإثني عشر الأئمة الاوصياء الخلفاء من بعده، حيث وصل إلى ذكر إمامنا السابع الكاظم عليه السلام فقال: "ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبرا في الله عز وجل"[٥٤] النص على لقبه اولى حجة بإثبات اللقب للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، كون النص من الله وبأمره سبحانه.

ثانياً/ من أحوال كظمه الغيظ عليه السلام : كان (عليه السلام) إذا بلغه عن الرجل ما يكرهه بعث إليه بصرة دنانير، وكانت صراره مثلا، وكانت تلك الصرار ما بين الثلاثمئة إلى المئتين إلى المئة دينار، وربما أكثر، وروي أنه كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار [٥٥]، و هذا من أمثلة كظمه الغيظ على عامة الناس، فهو غيظ المحسنين المكظوم حلما وإحسانا .

وكان يكظم غيظه أيضاً على حكام الجور، إلا إذا تمادوا في طغيانهم، ولم يكن في علمه أن في ما يقصدون إليه من أذاه في مرضاة الله ، فكان يدفع شرهم عنه بالدعاء، ومن ذلك ما روي عن عليّ بن يقطين أنّه قال: "أنمي الخبر إلى أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) وعنده جماعة من اهل بيته، بما عزم عليه موسى بن المهدي في أمره، فقال لاهل بيته: ما ترون، قالوا: نرى أن تتباعد منه وأن تغيب شخصك عنه، فإنّه لا يؤمن شرّه، فتبسم أبو الحسن (عليه السلام) ثم تمثل بشعر كعب بن مالك:

زَعَمَتْ سُخَيْنَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّها فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاّبِ

ثم رفع يده إلى السماء وقال : {إلهي كَمْ مِنْ عَدُوٍّ شَحَذَ لي ظُبَةَ مُدْيَتِهِ وَأَرْهَفَ لي شَبا حَدِّهِ وَدافَ لي قَواتِلَ سُمُومِهِ وَلَمْ تَنَمْ عَنّي عَيْنُ حِراسَتِهِ، فَلَمّا رَأَيْتَ ضَعْفي عَنْ احْتِمالِ الفَوادِحِ وَعَجْزي عَنْ مُلِمّاتِ الجوائِحِ صَرَفْتَ ذلِكَ عَنّي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ لا بِحَوْلٍ مِنّي وَلا قُوَّةٍ فَأَلْقَيْتَهُ في الحَفيرِ الَّذي احْتَفَرَهُ لي خائِباً مِمّا أَمَّلَهُ في الدُّنْيا مُتَباعِداً مِمّا رَجاهُ في الاخِرَةِ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلى ذلِكَ قَدْرَ اسْتِحْقاقِكَ سَيِّدي. اللّهُمَّ فَخُذْهُ بِعِزَّتِكَ وَافْلُلْ حَدَّهُ عَنّي بِقُدْرَتِكَ وَاجْعَلْ لَهُ شُغْلاً فيما يَليهِ وَعَجْزاً عَمّا يُناديهِ، اللّهُمَّ وَأَعْدِني عَلَيْهِ عَدْوىً حاضِرَةً تَكُونُ مِنْ غَيْظي شِفاءً وَمِنْ حَنَقي عَلَيْهِ وَقاءً، وَصِلِ اللّهُمَّ دُعائي بِالإِجابَةِ وَانْظِمْ شِكايَتي بِالتَّغْيير وَعَرِّفْهُ عَمّا قَليلٍ ما اوعَدْتَ الظّالمينَ وَعَرِّفْني ما وَعَدْتَ في إِجابَةِ المُضْطَرّينَ إِنَّكَ ذو الفَضْلِ العَظيمِ وَالمَنِّ الكَريمِ}. فتفرق القوم وما اجتمعوا إلاّ لقراءة نبأ وفاة موسى بن المهدي"[٥٦].

وهنا نلحظ طلبه الشريف (وَأَعْدِني عَلَيْهِ عَدْوىً حاضِرَةً تَكُونُ مِنْ غَيْظي شِفاءً) فقد دعا الله بتعجيل العدوى على الظالم لتكون (حاضرة) ولتكون شفاء للإمام من غيظه، وهو هنا عليه السلام يعلم المؤمنين هذا الدعاء الذي يذهب غيظ قلوبهم ويشفي ما في صدورهم ، وقد ذكرنا أن هذا النسق من الغيظ هو الغيظ الذاهب بالشفاء بشرط

القتال، فالإمام هنا يدعو الله سبحانه ليعديه عليه، أي ينصره في عداوته له لأنها عداوة في الله، ليكون الله هو المدافع عنه ، فقد قال تعالى في محكم كتابه العزيز: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ }الحج٣٨، والسلام على عليّ أمير المؤمنين وهو القائل: "اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموما او مت متأسفا، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذابّ ولا مساعد ، إلا اهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشفار "[٥٧].

ونجد أن نوع الإغاظة الخاص برسول الله صلى الله عليه وآله والذين معه، حاضر عند الإمام الكاظم عليه السلام، فقد روي أنه لما دخل هارون العباسي المدينة أراد أن يخدع الناس ويتظاهر بالشرعية لقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فتوجه لزيارة القبر الشريف ومعه الناس، ولما وصل الضريح المقدس قال:السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عمّ ، مفتخرا بذلك على غيره، فتقدم الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، فقال : السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه، فافتضح أمر هارون العباسي، وبان للناس من اولى برسول الله صلى الله عليه وآله وخلافته و من الأقرب إليه، فتغير وجه هارون العباسي وتبيّن الغيظ فيه [٥٨]، وهكذا سن رسول الله صلى الله عليه وآله سنته بإغاظة الظالمين من بعده حين يسعون إلى ما قدر لهم الله من خزي بمحاولتهم الإساءة إلى الرسول وآله عليهم الصلاة والسلام، او دفعهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها.

الخاتمة

١. وردت في القرآن الكريم ثلاثة ألفاظ للكظم هي : (الكاظمين– كاظمين، كظيم) في خمس آيات، وكانت إحداها متعلقة بحزن نبي الله يعقوب عليه السلام،ولأنها غير متعلقة بالغيظ لم يتم تناولها في ضمن البحث.

٢. وردت في القرآن الكريم سبعةُ ألفاظ للغيظ هي : (الغيظ – بغيظِكم – غَيظ – يَغيظ – تغيُّظــاً – بغــيظِهم – لِيغيظَ) في تسع آيات مباركات.

٣. وجد الباحث أربعة أنساق للإغاظة في القرآن الكريم هي : إغاظة الله للكفار ، و إغاظة الرســول الأعظــم (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) والذين معه للكفار ، و إغاظة المسلمين للكفار ، وإغاظة خزنة جهنم للكفار كل ذلك بأمر من الله تعالى.

٤. وجد الباحث أربعة أنساق للغيظ في القرآن الكريم هي : الغيظ المثاب، والغيظ المميت، وغيظ الخيبة، والغيظ الذاهب بشرط القتال.

٥. وجد الباحث أربعة أنساق لكظم الغيظ في القرآن الكريم هي : كظم المحسنين المتقين، وكظم المسيئين، وكظم الظالمين، وكظم العاجلين.

٦. وجد الباحث أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قد مثّل فعل الإغاظة للكفار من النسق الثاني وهــو إغاظة الرسول الأعظم (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) والذين معه للكفار، وتولى التذكير بالأنساق الثلاثــة الأخرى، وأن غيظه عليه السلام كان من النسق الاول (الغيظ المثاب)، وإن كظمه للغيظ هو من النســق الاول (كظم المحسنين).

الهوامش

---

[1] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مراجعة وتدقيق: د.يوسف البقاعي وآخرون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،٢٠٠٥م :٤ : ٣٤٤٤ .

[2] م. ن. : ٣ : ٢٩٥٨ .

[3] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، العلامة المجلسي : ٦٦ : ٣٤٧- ٣٤٨ .

٤ تفسير القمي : ٢: ١٨٩.

٥ روح المعاني (تفسير الآلوسي): ٢١: ١٧٤.

٦ تفسير الميزان: ١٦: ٢٩١.

٧ تفسير الميزان : ١٨: ٢٩٩.

٨ م.ن. :١٨: ٣٠٠.

٩ الحق المبين في معرفة الأئمة المعصومين، محاضرات الوحيد الخراساني، ترجمة وشرح وتعليق: علي الكوراني العاملي، ٢٠٠٣م: ٩٤.

١٠ روح المعاني (تفسير الآلوسي): ١١: ٤٦.

١١ تفسير الميزان: ١٥: ١٨٨.

١٢ تفسير القمي : ٢: ٣.

[13] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٥٦.

١٤ الكافي : ٢: ١١٠.

[15] م. ن.

[16] م.ن. : ٢: ١٠٩.

[17] م.ن.

[18] تفسير الميزان : ٤ : ٢٤

[19] ينظر: روح المعاني (تفسير الآلوسي): ٤: ٣٩.

[20] تفسير الميزان: ٣ : ٣٨٧.

[21] البرهان في تفسير القرآن ، هاشم بن سليمان البحراني: ١: ٧٤٤- ٧٤٦.

[22] تفسير العياشي : ٢: ٧٩.

[23] تفسير القمي : ١: ٣٣٣.

[24] الكافي : ١: ١٥٤، والبرهان في تفسير القرآن:٣: ٢٨٣.

[25] تفسير القمي : ١: ٣٨١.

[26] الكافي: ٢ : ١١٠.

[27] م.ن.

[28] الأمالي ، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، ط١، قم ، ١٩٩٧م : ٢٦٩.

[29] نهج البلاغة : ٢٩٠.

[30] الكافي : ٢: ١٠٩.

[31] ينظر : شرح أصول الكافي : محمد صالح المازندراني، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ط١، ٢٠٠٠م: ٨: ٣٢٤ – ٣٢٥.

[٣٢] الكافي : ٢: ١١١.

[٣٣] ينظر : شرح أصول الكافي ، المازندراني: ١: ٢٤٠ .

[٣٤] وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٢، ١٩٩٤م: ١٢: ١٧٨.

[٣٥] م.ن. : ١٧٩.

[٣٦] م. ن. : ١٧٨– ١٧٩.

[٣٧] م. ن. : ١٧٩.

[٣٨] مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م: ٩: ١٢.

[٣٩] م.ن.

[٤٠] م. ن. :٩: ١٤

[٤١] م.ن.: ٩: ١٣.

[٤٢] تفسير الميزان : ١٨: ٩٠ .

[٤٣] ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي : ١٠: ٣٤١.

[٤٤] تفسير القمي : ٢٩٣ – ٢٩٦.

[٤٥] ينظر: الكافي :١ : ٥٢٥ – ٥٣٥ .

[٤٦] من حياة الإمام الكاظم عليه السلام ، السيد محمد الحسيني الشيرازي : ١: ٨ .

[٤٧] الكافي : ١: ٥٢٨.

[٤٨] علل الشرائع : ١: ٢٣٥، باب ١٧، الحديث ١ .

[٤٩] من حياة الإمام الكاظم عليه السلام : ١: ١٣.

[٥٠] م.ن. : ١: ١٥.

[٥١] م. ن.

[٥٢] الكافي : ١: ٥٢٧ .

[٥٣] ينظر: تاويل الآيات : ١: ٢٠٤.

[٥٤] دلائل الإمامة : ٢٣٧.

[٥٥] ينظر : الكافي : ١: ٥٣٢ .

[٥٦] بحار الأنوار ، المجلسي :

[٥٧] نهج البلاغة : ٢٣٨.

[٥٨] ينظر : الارشاد : ٢: ٢٣٥ – ٢٣٦ .

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم .

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.

٢. الأمالي ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه البقمي (الشيخ الصدوق)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، ط١،طهران ، ١٩٩٧م.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء،ط٢، بيروت، ١٩٨٣ .

٤. البرهان في تفسير القرآن ، هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم، ١٩٩٥م.

٥. تاويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عج، ط١، ١٩٨٧م.

٦. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٩٦٠م.

٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب للطباعة والنشر، ط٣، قم، ١٩٨٤م.

٨. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

٩. الحق المبين في معرفة الأئمة المعصومين، محاضرات الوحيد الخراساني، ترجمة وشرح وتعليق: علي الكوراني العاملي، ٢٠٠٣م.

١٠.دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة،ط٢، قم، ١٩٩٣م.

١١.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد شكري الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.

١٢.شرح أصول الكافي : محمد صالح المازندراني، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣.علل الشرائع، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

١٤.لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مراجعة وتدقيق: د.يوسف البقاعي وآخرون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،٢٠٠٥م.

١٥.مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي،تحقيق: لجنة من المحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ١٩٩٥م.
١٦.مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.
١٧.من حياة الإمام الكاظم عليه السلام، محمد الحسيني الشيرازي، ط١،قم، ٢٠١٣م.
١٨.الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٥م.
١٩.نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٠.وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٢، ١٩٩٤م.